المهلب بن أبي صفرة

للأستاذ حمدي الحسيني

ولد المهلب لأبي صفرة سيد الأزد في اليمن قبيل وفاة النبي (ص) ببضع سنين ففتحت عيناه في نور الإسلام وأشرقت نفسه بإشراقة الهدى ودين الحق، فنشأ سيداً ماجداً وحراً مستقلاً في أمة حرة مستقلة، ومؤمناً مجاهداً في صفوف المؤمنين المجاهدين، وبطلاً عظيماً منتصراً في ميادين المجد والشرف

هبط أبو صفرة البصرة على أثر حرب من حروب الردة في اليمن، فعاش المهلب هنالك ولم يلبث حتى أصبح سيد العراق بما آتاه الله من صفات السيادة والتفوق على الأقران بالفضائل

قدم المهلب على عبد الله بن الزبير الخليفة البطل أثناء خلافته في الحجاز والعراق وهو يومئذ في مكة، فخلا به عبد الله يشاوره فدخل عليه عبد الله بن صفوان فقال: من هذا الذي شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا؟ قال. أما تعرفه؟ قال (لا) قال هذا سيد العراق، قال فهو المهلب بن أبي صفرة؟ قال (نعم)

أجل هذا هو سيد الأزد وبطل العراق المهلب بن أبي صفرة يخلو به الخليفة عبد الله بن الزبير ويشاوره في أشد أزماته وأعقد مشكلاته وأدق مواقفه وأخطر حوادثه. أليس الزمن عصيباً والموقف حرجاً؟ أليس صولجان الحكم الإسلامي مضطرباً بين يدي عبد الله بن الزبير في الحجاز وعبد الملك ابن مروان في الشام؟ كل منهما يحذبه من صاحبه بما عنده من قوة. أليس العراق وما يجاور العراق من الأقطار الإسلامية كرة تتقاذفها قوات الحجاز والشام تصبح لهذا وتمسي لذاك؟ أليس هؤلاء الخوارج ينكرون على عبد الله بن الزبير وعبد الملك ابن مروان خلافتيهما كما أنكروا على علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان خلافتيهما من قبل فيتقلبون في أنحاء البلاد من البصرة إلى الموصل إلى الأهواز إلى كرمان يقتلون العباد ويهدمون البلاد ويقيمون على الأشلاء والأطلال ممالك وحكومات

أجل إن الأمر لخطير، ولا بد فيه لعبد الله بن الزبير من المشورة، وهل أرجح من المهلب عقلا وأعلى همة وأوسع معرفة وأعظم نفوذاً حتى يستشيره عبد الله بن الزبير دون المهلب؟ إذاً لا بد لابن الزبير من استشارة المهلب، ولا بد له من أن يوليه على خراسان. حمل المهلب عهد ابن الزبير له على خراسان وتوجه به نحوها عن طريق العراق ووصل البصرة فرأى البصرة تلتهب بنيران الحرب القائمة بين قوات ابن الزبير والخوارج، ورأى أن الخوارج قد تفوقوا على قوات الخلافة تفوقاً ألقى الرعب في قلوب أهل البلاد

ولكن ما شأن المهلب في هذا الأمر وهو سائر في طريقه إلى خراسان ليكون والياً عليها؟ إذاً عليه أن يترك هذه النار المشتعلة تلتهم أكباد المسلمين ويمضي إلى عمله

هذه خطة صحيحة لو كان صاحب هذه الخطة غير المهلب، أما وهو المهلب صاحب البصرة وسيد العراق فلا بد له من البقاء بجانب بلده وقرب أهله ليحمي حماهم من الخوارج وينقذهم من فتك أولئك الشجعان الذين لعبت العقيدة في نفوسهم فخلقت منهم أبطالا في الحروب لا يهابون الموت ولا يخشون الردى

أليس البطل في نظر قومه قوة مدخرة يستعينون بها على الشدائد في الأيام الحالكة؟ وأية شدة أدعى لاستنجاد قوات المسلمين بالمهلب من هذه الشدة المدمرة التي تكاد تطبق على المسلمين بسيوف الخوارج؟ إذاً لا والله ما لهذا إلا المهلب تخرج أشراف الناس فكلموه ليتولى قتال الخوارج فقال لا أفعل

هذا عهد أمير المؤمنين معي على خراسان فلم أكن أدع عهده وأمره. رفض المهلب أن يجيب الناس إلى طلبهم في قتال الخوارج لأن المهلب رجل نظام وطاعة، فلم يشأ أن يخرج عن قاعدته في النظام وعن طاعته في الطاعة، وهو رجل عسكري والنظام والطاعة قوام الحياة العسكرية. إذاً لا بد من أمر يصدره الخليفة للمهلب يلغي عهد خراسان ويثبت قيادة الجيوش لمحاربة الخوارج. ولكن أين ابن الزبير الآن من المهلب وكيف يحتمل الصبر حتى تدور المخابرات الرسمية دورتها وهؤلاء الخوارج على الأبواب لا يبلغون الناس ويقهم ولا يدعونهم يهدأ روعهم من الفزع. إذاً لا بد من الحيلة والحيلة، في مثل هذه المآزق مستحبة.. فرأى قائد قوات ابن الزبير مع أهل البصرة أن يكتبوا على لسان

بطل عرقته

عبد القادر الحسيني

بمناسبة ذكرى استشهاده

الاستاذ كامل السوافيري

يهتف بي الوفاء أن أذكر صديقاً وفياً ، وقائداً عربياً في مناسبة كريمة. أما ذلك الصديق فهو بطل العروبة المجاهد المرحوم عبد القادر الحسيني ، وأما المناسبة فهي ذكرى استشهاده المجيدة إذ سقط في حومة الشرف في الثامن من ابريل سنة ١٩٤٨

وليس البطل بالرجل المجهول الذي يحتاج للتعريف، أو المجاهد المغمور الذي يتطلب الشهرة ، فهو النجم المتألق في سماء الجهاد ، والكوكب المشرق في أفق الوطنية ، والسيف البتار في ثورة الحرية

عرفت الشهيد إبان الثورة الوطنية الكبرى في فلسطين سنة ١٩٣٦ وهو يخوض المعارك الدامية ضد الجيش البريطاني المجهز بأحدث الأسلحة مع نفر من المجاهدين الأبرار فيسير النصر في ركابه ، ويعود من المعركة وهو مكلل بأكاليل الفخر. ثم توثقت بيننا أواصر الأخوة والصداقة وكلما امتدت الأيام بصداقتنا زدت إعجاباً برجولته وتقديراً لشخصيته

ولعل أعظم نواحي إعجابي بالفقيد أنه قضى طفولته يمرح في

ابن الزبير كتاباً للمهلب يأمره فيه بمقاتلة الخوارج وبعده بعد النصر بالولاية على خراسان، فأخذ المهلب الكتاب بنفس راضية مطمئنة وتهض للأمر العظيم . والغريب في أمر هذا البطل أنه كان فوق الأحزاب في ذلك الزمن القائم على الحزبية المقيتة مما يدل دلالة واضحة على أنه كان جندياً مسلماً قد وقف حياته على المصلحة الإسلامية العامة ورصد بطولته على مجد الإسلام وعزته وكرامته . لا يعنيه من يكون الخليفة ولا أين يكون؛ سواء عنده أكان الخليفة علي بن أبي طالب أم معاوية بن أبي سفيان أم عبدالله بن الزبير أم عبدالملك بن مروان . وسواء لديه أكان مقر الخلافة الحجاز أم الشام، ولهذا فقد رأيناه جندياً غازياً لسمرقند في جيش معاوية بن أبي سفيان ثم رأيناه موضع ثقة ابن الزبير يعهد له بالولاية على خراسان ثم يوليه القيادة لحرب الخوارج ثم رأيناه موضع ثقة عبد الملك بن مروان فيعهد له بحماية الأهواز، ثم رأيناه موضع ثقة الحجاج بن يوسف الثقفي فيوليه على خراسان

ونعتقد أن وصيته لأبنائه الغر الميامين قبيل وفاته صورة واضحة لنفسيته الكبيرة التقية وأخلاقه الطاهرة الرضية وعقيدته الإسلامية القوية . لنسمع الآن المهلب يوصي أبناءه وقد جمعهم إليه وهو على فراش الموت يودعهم ويوصيهم ويفرغ نفسه في نفوسهم ويضع عقله في عقولهم ويصب همته في هممهم : دعا المهلب بسهام فحزمت وقال (أفتروفنكم كسريها مجتمعة؟ قالوا (لا) قال أفتروفنكم كسريها متفرقة؟ قالوا (نعم) قال فهكذا الجماعة

أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فإن صلة الرحم تنسئ في الأجل وتثري المال وتكثر العدد . وأنهاكم عن القطيعة فإن القطيعة تعقب النار وتورث القلة والقلة ، فتحابوا وتواصلوا واجمعوا أمركم ولا تختلفوا وتباروا تجتمع أموركم ، وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعلكم أفضل من قولكم فإني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتقوا الجواب وزلة اللسان فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته وتزل لسانه فيهلك

اعرفوا لمن ينشاكم حقه ، فكفى بندو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له . وآثروا الجود على البخل ، وأحبوا العرب واصطنعوا العرب فإن الرجل من العرب تعده المدة فيموت دونك ، فكيف الصنيعة عنده ؟ عليكم في الحرب بالأناة والكيد فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل أتى الأمر من وجهه ثم ظفر فحمد ، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل ما فرط ولا ضيع ، ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم)

محمد الحسيني